د. محمد علي مروة

تطور الفلسفة

من المسلمّات المهمة في تاريخ الفلسفة، أن هذا الفكر لا يتجزأ، ودراسته تبدأ بالركائز القديمة ، الأولى، ليصل الى اللحظة التي نعيش فيها...

وأصل الإصطلاح الفلسفي ظهر في بلاد اليونان في القرن السادس ق.م.، وكبرت دائرته واتسعت حتى وصل الى " سقراط" وجاء بعده " افلاطون" و "أرسطو"... والمؤسف أن الفكر الفلسفي بعد هؤلاء العباقرة بدأ يتدهور.

ومن عظمة وأهمية الفكر الفلسفي اليوناني أنه أعطى الانسانية دفعاً نحو العلوم ، وجعل الانسان مفكراً... وانتشرت هذه الفلسفة مع انتشار الفتوحات بقيادة الإسكندر المقدوني، الذي حملها معه الى الشرق إبّان فترة الحروب بين بلاد اليونان وبلاد فارس. وأدرك الإسكندر ومفكرو اليونان أنّ البلاد المغلوبة أي بلاد فارس لديها حضارة تضاهي حضارة اليونان . وتفاعلوا مع فلاسفة الفرس وفكرهم ، وكان همهم صناعة حضارة واحدة . وأدرك فلاسفة اليونان أيضاً نبوغ المظلومين وأخذوا منهم أسباب الحضارة الفكرية المادية والعقلية.

وتأثر بهذه الفلسفة اليونانية – الفارسية المفكرون المسيحيون فيما بعد، أي في بداية النهضة الاوروبية ، وكذلك استفاد منها الفلاسفة المسلمون، وأدركوا أهميتها في توصيف الكون والحياة والمصير.

العالم الحديث يعترف بأهمية الفلسفة الإغريقية وتفاعلها مع الأدب والعنف. ومن هنا نشأت في أوروبا وقت نهضتها المدارس الأدبية والإتجاهات الفكرية التي تغنى بها الاوروبيون إبّان فترة نقدهم وخلعهم جلباب آبائهم و أجدادهم.

بهذه المفاهيم العلمية والفلسفية السامية، إعتقد الاوروبيون أن الإغريق هم معلمو العالم الحديث وهم بالفعل أساتذة الإلهام والعبقرية والتقدم...

ونحن العرب لم نكن أصحاب فلسفة في جاهليتنا، بل كان في شعرنا وهو " ديوان العرب " شذرات من الحكمة و وبعض الخواطر المتصلة بجانب بسيط بالفلسفة الكلية الشاملة. وبرز هذا في معلقة " زهير بن أبي سلمى" وفي معلقة " طرفة بن العبد".

إن الرؤى في الشعر العربي تشبه شيئاً من الفلسفة ، وكما قلنا أن الفلسفة لا تتجزأ ، لذلك أطلقنا على هذا الجزء " حكمة" أو " خاطرة"...

وفي عصور ما بعد الخلفاء الراشدين ، بدأت حالات النقل والترجمة . وعرفنا فلسفة الإغريق، والصين والهند وفارس من الأديرة التي حاصرت الجزيرة العربية حصاراً أطلق عليه "الحصار الجضاري" الذي جاد بكرمه علينا ثقافة وفكراً.

ورعى بعض الخلفاء الفلاسفة والأدباء، واقيمت المكتبات في العصر العباسي، وكانت مكتبات بغداد و القاهرة و... هذه المكتبات و على رأسها "دار الحكمة" التي أسسها " هارون الرشيد ، ورعاها من بعده " المأمون " ضجّت بالمجلدات و آثار العباقرة والفلاسفة من الشرق والغرب ، وأغنت الواقع بنظريات علمية ورياضية وطبيعية وأخلاقية ... وأسست لعلم النفس وعلم السياسة والمنطق... وتعترف أن فضل الاغريق على العقلية العربية – الاسلامية كبير جداً، ولا يمكن أن ننكر أو نتنكر لهذا الفضل الانساني العظيم أو الإبتعاد عنه.

ويمكن القول وبهدوء أن حالتنا الفكرية والفلسفية تأسست على علوم اليونان وأفكارهم الرائدة في الحياة وما بعد الحياة . فجميع علماء المسلمين الذين برعوا في علومهم تتلمذوا على ما وصل اليهم من فلاسفة اليونان ، وغاصوا بآرائهم المعرفية بشكل عميق، واستلوا منه الضوء وأنوار المعرفة.

لم يكن فضل اليونان ، وما أنتجوه على البلاد العربية – الاسلامية. فأوروبا استفادت حتى أشعلت نهضتها. ونحن نعترف بأن الفكر اليوناني، وبعد ظلمة العصور الوسطى وأثناءها، خطونا الخطوة الاولى في النهضة من خلال مفاهيم الفلسفة من أجدادنا ، ودفع بالواقع الى الخلاص من ظلمة وارتقاء الفكر والفن والتمثيل والنحت والتصوير وترتيب قوانين الحياة...

في عصرنا نقول أول العلوم: الفلسفة ، ونسماتها خطر على الحياة فهي التي تحمل النزاعات الانسانية من دزنية وصوفية وسياسية وفكر اصلاحي وهي مدرسة علمية تعنى بالرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الفلك والنجوم، وتعني أيضاً بالموسيقى والطب. وهي بالنهاية نظرية الحياة وما بعد الحياة.